كيف سرق الفقر والحرب طفولة غمدان؟

قصة غمدان: ضحية التجنيد بسبب الفقر وانقطاع التعليم

تواصل الجماعة الحوثية استغلال الأطفال كأداة في صراعاتها السياسية والعسكرية، حيث ارتكبت انتهاكات جسيمة بحق الأطفال من قبل جميع اطراف النزاع وخاصة جماعة الحوثي باعتبارها الفاعل الأبرز لهذة الانتهاكات,حيث يتم تجنيدهم تحت ذريعة محاربة إسرائيل ودعم قضايا فلسطين ولبنان. تتزايد التقارير حول استمرار تجنيد الأطفال في صفوف الحوثيين، مما يثير قلقًا عميقًا حول مستقبل هؤلاء الأطفال الذين يُحرمون من طفولتهم ويُجبرون على المشاركة في نزاعات لا علاقة لهم بها. الجماعة الحوثية، أظهرت استعدادًا متزايدًا لمواجهة الأطراف الأخرى في المنطقة، خاصة بعد التغيرات السياسية التي شهدتها بعض الدول، مثل سقوط نظام بشار الأسد في سوريا. هذا التغير قد يؤثر على توازن القوى في المنطقة، مما يدفع الحوثيين إلى تعزيز موقفهم واستعدادهم لمواجهة التحديات الجديدة.

وتحت شعار "المقاومة" و"ومن اجل نصرة غزة ولبنان"، يتم استغلال الأطفال في معسكرات تدريب عسكرية، حيث يتعرضون لمخاطر جسيمة، بما في ذلك القتل والاصابة والعنف الجسدي والنفسي. هذه الظاهرة لا تمثل فقط انتهاكًا صارخًا لحقوق الأطفال، بل تهدد أيضًا استقرار المجتمع اليمني بأسره.

في هذه القصة، نستعرض قصة الطفل المجند غمدان الاحوس والذي تم رصدها وتوثيقها عبر الفريق الميداني التابع للتحالف اليمني لرصد انتهاكات حقوق الانسان باليمن (تحالف رصد) عبر راصدنا الميداني في محافظة حجة.

غمدان يحيى الأحوس، طفل يمني لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، من ابناء قرية مساهر مور، مديرية الجميمة -محافظة حجة. تم تجنيده في 23 فبراير 2024م بعد انقطاعه عن الدراسة منذ الصف السادس الابتدائي من العام الدراسي 2019-2020وجد نفسه ضحية الفقر وانقطاع التعليم، ليقع فريسة سهلة للتجنيد من قبل جماعة الحوثي.

نشأ غمدان في أسرة فقيرة تعمل بالزراعة، حيث عانى من فقدان والده الذي كان يعمل بالزراعة وأصبح يتيم بلا اب، مما أجبره على ترك المدرسة منذ الصف السادس الابتدائي بسبب الحرب والتي اثرت على قطاع التعليم حيث تقلص عدد المدرسين بسبب انقطاع الرواتب وتدهور النظام التعليمي.

تفاقمت معاناة غمدان مع غياب فرص التعليم، حيث تستغل الجماعة الحوثية حالات الفقر والعوز ومن خلال رصدنا الميداني نلاحظ ان تركيز التجنيد يتم في المناطق الريفية والنائية والفقيرة والمحدودة التعليم، حيث أدى توقف المرتبات وتضرر المدارس إلى عزله عن بيئته الطبيعية ودفعه للانخراط مع أقرانه الذين سبق تجنيدهم في صفوف الحوثيين. تعرض غمدان لغسل دماغ عبر الجلسات اليومية معهم، حيث تم تزويده بالقات وتعليمه عادات خطرة مثل تناول الشمة، بينما كان يتم التأثير عليه بسماع بالأناشيد الحماسية (الزوامل) التي عززت قناعاته بأيديولوجية الجماعة حيث تستخدم الجماعة الحوثية هذه الأساليب من استقطاب الأطفال وغسل ادمغتهم وادلجتهم.

بدأت قصة تجنيد الطفل غمدان الاحوس مثل كثير من الأطفال اليمنيين اللذين يقعون فريسة سهلة لمسؤولي الجماعة الحوثية حيث بدا غمدان في مجالسة أطفال مجندين سابقين مع الحوثيين حيث بدأت عمليات التأثير عليه وغسل دماغه بسماع الزوامل الحوثية وضرورة مقاتلة أعداء الله من اليهود والامريكان. ثم بدا مسؤولي التعبئة العامة بمحافظة حجة وإدارة امن مديرية الجميمة باستقطاب عدد من الأطفال والمراهقين ومن بينهم غمدان ودعوتهم لحضور دورة تدريبية قتالية وفكرية حيث تم الحاقه يوم 3 فبراير 2024م في معسكر أبو طير العسكري الذي يقوده القيادي الحوثي عماد القاضي وبعد ثلاثة أشهر تخرج غمدان وتم تسمية الدفعة الخريجة (دفعة طوفان الأقصى) وتم منحه اجازه ثلاثة أيام لزيارة اسرته ثم تم فرزه وارساله الى جبهة حرض وميدي وانقطعت اخباره عن اسرته.

لاتزال الجماعة الحوثية تستغل الحرب في غزة وسابقا كانت تستخدم حجة العدوان على اليمنلاستقطاب وتجنيد الأطفال لقتال خصومهم في البلاد.

وجد الحوثيون في حرب إسرائيل على غزة، والتي سقط فيها عشرات الآلاف من الضحايا الفلسطينيين، "وسيلة لاستقطاب الأطفال، وإثارة مشاعرهم، وإقناع ذويهم بضرورة التطوع لدعم فلسطين"، وفق إفادات راصدينا الميدانيين. وبإشراف مسؤول التعبئة العامة ومدير الأمن في المديرية، تم تجنيد غمدان وإرساله إلى معسكر تدريبي. تلقى تدريبات عسكرية مكثفة وتخرج ضمن دفعة حملت شعار دعم الأقصى، ليُرسل لاحقًا إلى جبهات القتال في حرض وميدي.

انقطعت اخبار غمدان عن اسرته، وبعد حوالي خمسة أشهر اتصل المسؤول الحوثي زيد دهشوش مدير امن المديرية بأسرته وأخيه حيث تم ابلاغهم بمقتله وعندما سألوه عن مكان مقتله قال لا اعلم.

قتل الطفل غمدان الاحوس في21من سبتمبر من العام الحالي 2024م حيث كانت مدة تجنيده واستقطابه ومشاركته في القتال ومقتله 8 أشهر فقط. وتم تنظيم جنازة رسمية للطفل غمدان في مركز محافظة حجة ولم يسمحوا لامه بألقاء النظرة الأخيرة عليه وفقط سمحوا لاخوه بالنظر الى الجثة قبل دخولها الجامع وتم تسليم الاسرة سله غذائية وعمل مقابلة تلفزيونية مع اخوه بعد ان تم تلقينه بكلام عن استشهاده اخوة من اجل نصرة الأقصى ولبنان.

منعت أسرة غمدان من رؤيته عند تشييعه، وأقيمت له جنازة رسمية وسط تهديدات لأسرته بعدم التشكيك أو الاعتراض. ترك غمدان وراءه إخوة مغسولي الأدمغة، أصبحوا بدورهم أدوات دعائية للجماعة تحت تأثير التهديدات والفقر المدقع.

ويؤكد الرئيس التنفيذي للتحالف اليمني لرصد انتهاكات حقوق الانسان مطهر البذيجي ان الجماعة الحوثية مستمرة وبوتيرة عالية في تحشيد وتعبئة الأطفال لتجنيدهم والزج بهم في جبهات القتال خصوصا في الفترة الأخيرة بعد سقوط نظام بشار الأسد استعداد لأية مواجهات محتملة مع الأطراف الأخرى وبحسب معلوماتنا الميدانية يقوم مسؤولي التعبئة والتحشيد التابعين للجماعة الحوثية بعقد الدورات المكثفة والنزول الى المدارس والطلب من مدراء المدراس بضرورة حضور كافة الطلاب ومن يتغيب يتم لفت نظره وتسليم انذار لاوي امر الطالب .ولاتزال أساليب التجنيد والدعاية من اجل الحرب في غزة ومحاربة العدو الإسرائيلي قائمة من اجل نصرة غزة ولبنان حيث يتم ادلجة وغسل ادمغة الأطفال وتدريبهم عبر الدورات التدريبية في معسكرات امنية معدة سلفا لهذا الامر كما حدث للطفل غمدان الاحوس حيث لم يمضي 8 اشهر فقط ما بين تجنيده وتدريبه والتحاقه بالجبهة ثم عودته قتيلا .

وعن جهود الرصد والتوثيق يؤكد البذيجي إن عمليات الرصد والتوثيق لانتهاكات تجنيد الأطفال "تتم عبر راصدينا وباحثينا عبر النزول الميداني، وإجراء مقابلات مع ذوي الضحايا والشهود، وكذلك من خلال الرصد من المصادر المفتوحة والإنترنت وإعلام الحوثيين، وما ينشر من أخبار وفيديوهات خاصة بتجنيد الأطفال."

ويضيف أن جماعة الحوثي "استخدمت المدارس والمساجد والمراكز الصيفية للذكور، واتضح ان لديها قدرة فائقة على استقطاب وتجنيد الأطفال عبر سلسلة من المشرفين والمحشدين، من المشائخ وعقال الحارات، وسخرت من أجلهم كثير من الأموال لتسهيل عملهم في التأثير على الأطفال".

-انعكاسات الحرب على الأطفال

تشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن 4.5 مليون طفل يمني خارج المدارس بسبب الحرب، حيث تسببت الهجمات المتكررة على المدارس في تدمير البيئة التعليمية، مع تسجيل 818 هجومًا على المدارس والمستشفيات أو استخدامها للأغراض العسكرية.

كما كشفت عمليات التوثيق التي أجراها التحالف اليمني لرصد انتهاكات حقوق الانسان"تحالف رصد" خلال فترة من سبتمبر 2015 وحتة سبتمبر 2024م عن تمكن الحوثيين من تجنيد عدد 7171 طفل منهم 48 تم اصابته بجبهات القتال. و5552 طفل قتل اثناء الاعمال القتالية والعسكرية وعدد 503 مستمر بالجبهات و907 مصيرهم مجهول و161 طفل عادوا الى اسرهم. وهذه الاحصائيات هي ما توصل اليه فريقنا الميداني وهي جزء من الحقيقة وليست الحقيقة كلها، مستغلين أحداث غزة واحداث البحر الأحمر لجذب الشباب والأطفال. وأشارت تقارير تحالف رصد إلى أن جماعة الحوثي استخدمت المدارس والمساجد والمراكز الصيفية لاستقطاب الأطفال عبر شبكة من المشرفين والمحشدين.

أما على صعيد الأوضاع الاقتصادية، فيعيش نحو 600 ألف موظف حكومي للعام الثامن على التوالي في معاناة قاسية بسبب توقف مرتباتهم، ما أثر سلبًا على الأسر التي تقدر بنحو 5 ملايين فرد، مما دفع العديد من الأطفال إلى سوق العمل أو التجنيد القسري. تكشف حالة غمدان كيف أدت الأوضاع الأمنية والاقتصادية إلى انتهاك حقوق الأطفال في التعليم والأمان، وتحويلهم إلى وقود للحرب. ومع استمرار استهداف المدارس، وغياب المدرسين، وتوقف الرواتب، تبقى آلاف الأسر في مواجهة مستقبل مظلم يهدد أجيالاً كاملة بالجهل والتجنيد القسري.

ويقول الأستاذ/ توفيق الحميدي رئيس منظمة سام، ان استغلال الحوثيون الحرب في غزة لتكثيف دعايتهم وحملاتهم للتحشيد والتجنيد، مستغلين المشاعر المتأججة تجاه القضية الفلسطينية لتبرير أجندتهم الداخلية وتوسيع صفوف مقاتليهم. قاموا برسم ارتباط بين "المقاومة الفلسطينية" ونهجهم المسلح، مستخدمين خطاباً شعبوياً يربط الحرب في غزة بمواجهه المؤامرات الأمريكية والإسرائيلية"، وهي لغة دعائية تهدف إلى جذب التأييد الشعبي وخلق مبررات لعمليات التجنيد المستمرة. في ظل غياب معايير واضحة للتجنيد وتجاهل تام لالتزاماتهم بمنع تجنيد الأطفال وفق القوانين الدولية، توسعت جماعة الحوثي في استهداف الفئات الأكثر ضعفاً، خصوصاً الأطفال. تشير التقارير إلى استغلالهم للمدارس كمراكز للتجنيد، حيث يتم إقحام الخطاب العسكري داخل المناهج الدراسية والنشاطات المدرسية، بهدف غسل أدمغة الطلاب وتجنيدهم بشكل ممنهج.

ويؤكد الحميدي ان هذا النهج لا ينتهك فقط حقوق الأطفال، ولكنه يعكس استراتيجية ممنهجة لإدامة الصراع، حيث يتم التضحية بمستقبل الأطفال والزج بهم في ساحات الحرب، بما يخالف كل المواثيق الدولية التي تحظر تجنيد الأطفال واستخدامهم في النزاعات المسلحة. هذه الممارسات تستوجب إدانة شديدة وتدخل المجتمع الدولي للضغط على الحوثيين لوقف هذا الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان.

ويقول الناشط الحقوقي والخبير القانوني / نبيل عبد الحفيظ مانع ان تجنيد الأطفال واستخدامهم في الأعمال العسكرية يعد انتهاك صارخ لقوانين حقوق الإنسان، بما في ذلك اتفاقية حقوق الطفل والبروتوكول الاختياري بشأن اشتراك الأطفال في النزاعات المسلحة. وهي من جرائم الحرب.

وفي اليمن تورطت أطراف النزاع في تجنيد الاطفال واستخدامهم في الاعمال العسكرية بنسب متفاوتة، وبحسب المعلومات المتاحة تقوم جماعة الحوثي بتجنيد الأطفال بشكل منهجي، خاصة منذ ديسمبر ٢٠٢٣، حيث قام الحوثيون بتجنيد وعقد دورات عسكرية لعشرات الالاف من الأطفال بشكل غير مسبوق، مما يعرضهم لمخاطر جسيمة تشمل القتل، الإصابة، والتشويه ومخاطر التعرض للاعتداء الجسدي والنفسي.

ويوكد نبيل مانع يجب على جميع الاطراف ان تجنب استخدام الأطفال كجنود حيث يعد جريمة حرب بموجب القانون الدولي الإنساني ويستوجب محاسبة المسؤولين عن هذه الانتهاكات.

ويشدد مانع على أن حماية الأطفال مسؤولية جماعية، وعلينا جميعا العمل من أجل ايقاف هذه التجاوزات وضمان مستقبل أفضل لأطفال اليمن، وفي هذا السياق ندعو المجتمع الدولي، بما في ذلك المنظمات الإنسانية ومنظمات حقوق الإنسان والدول الأعضاء في الأمم المتحدة، إلى اتخاذ إجراءات فاعلة والضغط على الميليشيا الحوثية لوقف هذه الممارسات غير القانونية، وان تعطى الأولوية لحماية الأطفال وإعادة تأهيلهم، وتقديم الدعم اللازم لهم ولعائلاتهم.

يؤكد تحالف رصد على ان أطفال اليمن قد عانوا من ويلات الحرب وارتكبت بحقهم الانتهاكات الستة الجسيمة من جميع الاطراف، ويجب أن لا تستمر وان تتوقف الانتهاكات فورا وخصوصا من جانب الحوثيين وتجنيب الأطفال الحرب وأعمال العنف. إن استمرار انتهاكات حقوق الأطفال، بما في ذلك التجنيد واستخدامهم في الأعمال العسكرية، يمثل خرقًا صارخًا للقوانين الدولية ويمس مستقبل اليمن.